قصور الأمويين

في الديار الشامية

امتاز تاريخ دولة بني أمية بغرام رجالها بالعمران وحب البنيان فبلغت الحضارة الاسلامية في عهدهم غاية بعيدة . وفي الكتب الادبية والتاريخية اشارات الى ماشيده الخلفاء وعمالهم من المدن والجوامع والقصور والطرق والقناطر والسدود التي ازدهرت بها البلاد الاسلامية عامة والقطر الشامي خاصة . فجاءت خير شاهد على ذاك الماضي المجيد وكان على قصره من أزهر العصور الاسلامية وأبعدها شأواً في المدنية والحضارة . وهذه الظاهرة هي في الغالب أثر من آثار اليسر والرخاء .

بدأ هذا الميل في خلافة عثمان (رضه) فبنى داره في المدينة وشيدهـا بالحجر والكلس وجعل ابوابها من الساج والعرعر [1] وسلك عمـاله وكثير من أهل عصره طريقته وتأسوا في فعله وبنوا القصور في مكة والمدينة والبصرة والكوفة والفسطاط والاسكندرية ولا غرابة ان سلك الامويون هذه السبيل بعد ان وطدوا دعائم الدولة العربية الفتية في الشرق والغرب وبسطوا سلطانهم على البحار وسيطروا على الاسواق التجارية التي درت عليهم موارد عظيمة ومُلأت خزائن الدولة بالاموال التي حملت اليها من الجبايات ومواردالاقطاعات والمكوس فأغتنت بها الدولة وأثرى معها الافراد فاندفعوا الى البذخ والترف ونافسوا في هذا المضمار الروم والعجم فخلفوا آثاراً تغنى بها السلف وتفاخر بها الخلف .

لم يتصل بنا من أخبار آثار بني أمية الا النذر اليسير بعد ان طرق عليها تبديل كثير ومن آثارهم ماهو معروف الى يوم الناس هذا وينتفع به المسلمون كجامع بني أمية بدمشق وجامع حلب [2] والمسجد الاقصى في بيت المقدس وجامع المدينـة المنورة وجامع قرطبة في تونس . ومنها ما دثر رسمه وحفظ اسمه كقصورهم في دمشق وحلب وحمص وغيرها من المدن الشامية .

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص : ٣٣٣ (٢) خطط الشام للاستاذ كردعلي ج ٥ ص : ٢٦٦ — ٢٨٠

فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم قفراً سوى الذكر والآثار ان ذكروا

وهنالك طائفة من الابنية أغفل ذكرها وجهل وجودهـا فأظهرتها المصادفات والتنقيب الأثري ولولا ذلك لبقيت مدفونة مهملة لا ذكرى تحييها ولا اطلال تنعيها ·

بالغ الأمويون في نفقات البناء حتى أتهمهم خصومهم بالاسراف والجور على المكلف وافقار بيت المال ومنع المستحقين أعطياتهم · وهذا ما حمل يزيد بن الوليد — لما بويع بالخلافة — ان يقطع على نفسه عهداً أن « لا يضع حجراً على حجر ولا لبنة على لبنة ولا يكري نهراً » [١] ان لم يصلح ما عابوه على أسلافه ·

وكان جميع من ولي الأمر من بني أمية ينزلون دمشق إلا مروان فقد نزل حران من أرض الجزيرة [٢] ولكن كان الخلفاء وابناء الخلفاء يتبدون فينزلون البرية وشيدوا لهذه الغاية منازل ومساكن يحاكي بعضها أعظم القصور وافخمهـا ينفرون اليها في بعض الفصول ترويحاً عن النفس بالصيد والقنص او هرباً من وباء او طاعون ·

وقد نقل الينا ان يزيد بن معاوية مات في حوارين [٣] وجاءت البيعة لمروان بن الحكم وهو مقيم في قصره بالجابية [٤] وان عبد الملك ينزل قنسرين [٥] وروي عن حماد الرواية بأنه أتى الوليد وهو في البخراء [٦] حيث قصر النعمان بن بشير الانصاري وهي مما يلي البرية بين تدمر ودمشق كما انه كان ينزل في الربيع بأباير [٧] بالبلقاء حيث وفد عليه ابن ميادة وانشده :

لعمرك اني نازل بأباير لصوأر مشتاق وان كنت مكرما
أبيت كأني أرمد العين ساهر اذا بات أصحابي من الليل نوما

وتوفي الوليد بن عبد الملك بدير مران من ضواحي دمشق [٨] وبويع سليمان بن عبد الملك بالخلافة وهو بالرملة [٩] وتوفي بدابق وكان له فيها منازل الخلافة · وتوفي

(١) تاريخ الكامل لابن الاثير ج٥ص: ١٠٨ (٢) التنبيه والاشراف للمسعودي ص: ٢٨١ (٣) مروج الذهب ج ٢ ص: ٨٥ (٤) تاريخ الكامل ج ٤ ص: ٥٨ (٥) تاريخ الكامل ج٤ص: ١١٦ (٦) الاغاني ج ٢ ص ٦٣ (٧) الاغاني ج٢ص: ١٠٤ (٨) تاريخ الكامل ج ٥ص: ٣ (٩) تاريخ الكامل ج ٥ص: ٤

عمر بن العزيز بدير سمعان ودفن فيها[١] والمعروف ان هشاما قد جدد الرصافة وسكنها وأتته الخلافة وهو مقيم فيها[٢] كما انه بنى قصراً في القطيفة [٣] وكان لأم حكيم زوجة هشام قصر ببرج الصُّفَّر جنوبي دمشق . وكان ينزل يزيد بن عبد الملك ببيت رأس بالشام حيث توفيت جاريته حبابة فيما قيل[٤] ومن منازله أيضاً الموقر وهو حصن بالبلقاء رممه وزينه وجعله من القصور الجميلة وهدمه بنو العباس . قال ابن نخيلة يمدح بني العباس :

وامست الانبار داراً تُعمر   وخربت من الشآم ادؤر

حمص وباب التين والموقر   ودمرت بعد امتناع تدمر

وكان ينزل الوليد بن يزيد بالاغدف من عمان [٥] والازرق بالاردن [٦] وقتل بالبخراء . وكان للعباس بن عبد الملك قصر في حمص هدمه أهلها انتقاماً لمقتل الوليد . وورد ذكر منازلهم في الزيزاء وفدين والابيض والقسطل والزيتونة والصِّنَّبر وبطنان حبيب[٧] واسيس . وتؤيد ما سردنا من الاخبار وغيرها تعدد هذه المنازل والقصور في البلاد الشامية وسنحصر بحثنا فيما اتصل بنا عنها من الشواهد والوثائق التي تؤيد صحة الخبر وتحي ذكرى تراث درسته الايام وتناساه الاحفاد .

سبق لفئة قليلة من علماء الآثار والمحققين والرواد الغربيين ان طرقوا هذا البحث منذ عشرات السنين وأماطوا اللثام عن هذه الناحية الخفية من الحضارة العربية ونبهوا الأذهان اليها دون ان تتوفر لديهم وقتئذ ادلة لاثبات ماذهبوا اليه عن وجود طائفة من الابنية الفخمة في نواح نائية من بلاد الشام يرجع عهدها لأقدم المصانع الاسلامية فأنكرت عليهم هذه الدعوى ونازعهم المنازعون فانحاز لكل من الفريقين أنصار وأعوان واثار ذلك محاورات وابحاثاً دامت سنين عديدة دون ان ترجح كفة على

(١) تاريخ الكامل ج٥ص:٢٣   (٢) تاريخ الكامل ج ٥ ص:٢٦   (٣) تاريخ اليعقوبي ص:١١٢   (٤) الاغاني ج١٣ص:١٥٧   (٥) تاريخ الكامل ج٥ص:١٠٥   (٦) تاريخ الكامل ج ٥ص:٩٧   (٧) خطط الشام ج٥ص:٢٨٠— ٢٨٣

كافة . الى ان جاءت اكتشافات السنوات الاخيرة الاثرية فوضعت حداً لكل جدل وتوفرت الادلة المقنعة والشواهد الناطقة بصحة هذه الانظار الجديدة وسلم بها أشدهم عناداً وهكذا أصبح اليوم للفن المعماري الاسلامي طابع خاص يعرف به وكيان يتميز به فأمكن الآن رسم مراحله منذ نشأته حتى دور انحطاطه وبذلك بعثت صفحة مجيدة من مفاخر السلف لتكون حديث الخلف

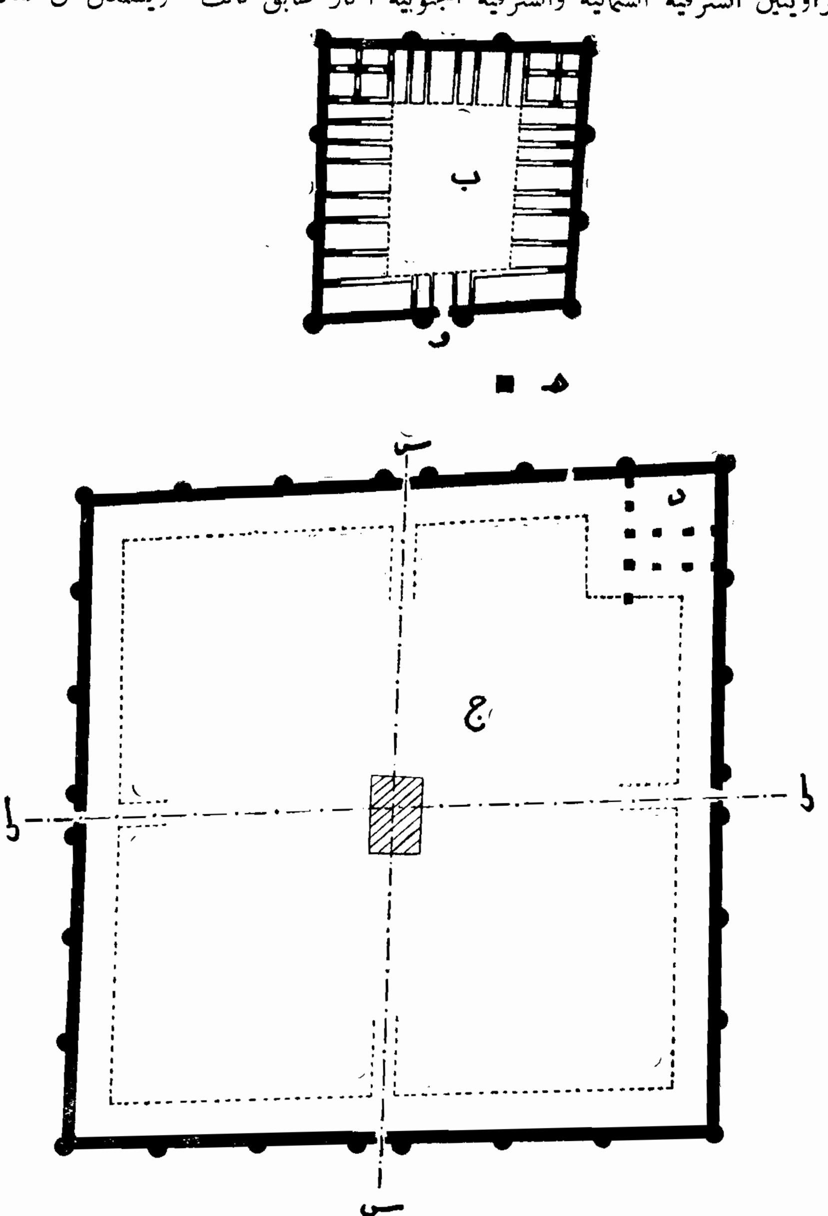
وفيما يلي وصف موجز لأهم القصور الأموية المعروفة في البلاد الشامية بحدودها الجغرافية التي لا تزال آثارها ماثلة للعيان وقد نجت من التخريب والتدمير لبعدها عن المدن والمعمور ولذلك لم تصل اليها أيدي السوء لتحول انقاضها الى سواها من الابنية كما صارت اليه كثير من الابنية الاثرية ومحيت معالمها من الوجود . وقد ارفقنا بحثنا هذا بمخططات بسيطة لأهم هذه القصور وخريطة لسورية يستعين بها القارئ الكريم على تفهم دراستها والتحقق من مواقعها الجغرافية (شكل ٨) وأوردنا ذكر المصادر والمراجع التي استقينا منها مادتنا للرجوع اليها .

قصر الحير الشرقي (شكل ١)
او رصافة هشام

يقع في البادية على بعد نحو (٣٠) كيلو مترا شمال قرية السخنة للشرق . منحرف عن طريقي تدمر - دير الزور وتدمر — الرصافة وببعد نحو (٧٥) كيلو مترا عن مدينة الرصافة أو رصافة هشام واول من اشار الى وجوده هو جاك روسو في عام ١٨٠٨ ووصفه باسهاب في رحلته المطبوعة [١] . وهو مكون من بنائين (ب و ج) لاتزال جدرانها قائمة وتدل آثارهما على جلالة ماضيها . يحيط بكل منها سور مربع الشكل بارتفاع (١٢) مترا من حجر مهندم ويبلغ اطول اضلاع البناء الصغير (ب) نحو (٧٠) متراً وله في الزوايا أربعة بروج مستديرة وبرجين لكل جدار وحكم بابه بين برجين في وسط الجانب الغربى (د) . وفي داخله باحة يحيط بها

(١) Louis Jaeques Rousseau, Voyage de Bagdad à Alep (1808) p. 146-154.

غرف واسعة بناؤها من الآجر وسقوفها عقد ويرجح وجود طابق علوي ويظهر في الزاويتين الشرقية الشمالية والشرقية الجنوبية آثار طابق ثالث . ويستدل من اتقان



شكل ١ — قصر الحير الشرقي او رصافة هشام

نحت السور والنقوش القليلة الباقية في أعلى برجي المدخل وبقية الزخارف الموجودة على بعض الجدران أنه قصر ملكي وما عداه من الابنية فهو ملحق به . وأما البناء الكبير (ج) فيشبه ظاهره القصر ويبلغ اطول اضلاعه (١٧٠) متراً وله (٢٨) برجاً وله بمنتصف كل جانب مدخل بين برجين (س) وقد انشيء في زاويته الجنوبية الشرقية مسجد (د) لم تزل جدرانه وركائزه قائمة واما بقية البيوت والدور التي كانت داخل هذا البناء فقد تهدمت وأصبحت ركاماً ولا يمكن تفهم خطوطها الأصلية الا بعد اجراء حفريات ورفع الأنقاض وكشف أُسس مابقي من الجدران ولعل هذا البناء هو أشبه بمدينة ملحقة بالقصر أعدت لسكن حاشية الخليفة وضيوفه ويؤيد ذلك الكتابة التي عثر عليها جاك روسو في هذا البناء ونقلها معه الى حلب ولم يعرف بعد ذلك مصيرها . وهذا نص الكتابة كما نقلها الينا :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لا إله إلا الله وحده لاشريك له . محمد رسول الله امر بصنعة . هذه المدينة عبد الله هشام . أمير المؤمنين وكان هذا مما . عمل اهل حمص على يد سليمن . بن عبيد سنة عشر ومائة . » (١)

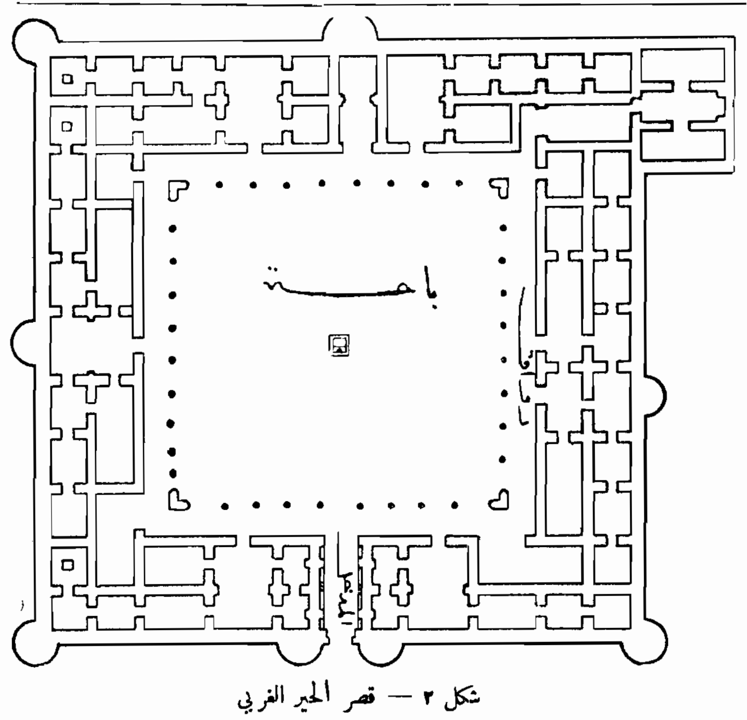
وقد شيد بين البنائين مأذنة مربعة (ﻫ) من حجر منحوت . ويمتد الى مسافة بعيدة نحو الجنوب امس جدران من بقية اسوار المنطقة الزراعية التي جلبت اليها من الشمال مياه ينابيع عين الكوم بقناة تمتد نحو (٣٠) كيلو متراً ولم يزل يطلق عليها البدو حتى الآن اسم البساتين . (٢)

ويستدل من الكتابة الآنفة الذكر ان البناء أموي ومما أحدثه هشام ، وهذا مايحملنا على الاعتقاد بأن هذه الابنية هي التي أطلق عليها اسم رصافة هشام تمييزاً عن الرصافة القديمة المعروفة قبل العصر الاسلامي والتي رمم هشام ماعور من بنائها دون أن يسكنها . (٣)

(١) Clermont Ganneau, Une inscription du Calife Hicham, Rec. Arch. Oriental III p. 285

(٢) H. Seyrig. Antiquités Syrienne, Syria T. XV p. 24-32

(٣) Albert Gabriel, Kasr el-Heir - Syria, T. VIII p. 303-332.



شكل ٢ — قصر الحير الغربي

قصر الحير الغربي او الزيتونة شكل (٢)

يقع في البادية على بعد (١٥٠) كيلو متراً من دمشق لمن يقصد تدمر اكتشفته مصلحة الآثار في سورية عام ١٩٣٦ وأشرف على حفرياته المسيو شلومبرجة [1] وهو بناء مربع الشكل يبلغ اطول اضلاعه نحو (٧٣) متراً بنيت جدرانه من اللبن والآجر على دكة من حجر مهندم ارتفاعها عن وجه الارض نحو مترين · وشيد في كل من أركانه برج مستدير وفتح مدخله في منتصف الضلع الشرقي بين دعامتين مستديرتين · ويحتوي داخله على باحة يطوف بها رواق قائم على (٣٢) ركيزة بنيت بشكل عمد وحوله صفان من بيوت السكن وغيرها من المرافق البالغ عددها ستين ونيفاً ويستدل من بقايا الادراج والانقاض بأنه كان للقصر اكثر من طبقة واحدة وقدر ارتفاع جبهته بنحو (١٥) متراً وقد أضيفت لهذا القصر ملحقات بنيت بجواره منها حمام واسع وبيوت وحوض تجمع فيه المياه التي تسيل اليه من سد خربقة العظيم الذي يبعد نحو

(١) مقالنا في مجلة المجمع العلمي العربي سنة ١٩٤١ ص : ٣٣٧

(١٥) كيلو متراً الى الجنوب منه ويتفرع من هذا الحوض جداول عديدة لري الزرع وسقيا أهل الضرع . ويرى الباحث في هذه المنطقة مظاهر عديدة يستدل منها بأن هذه الصحراء القاحلة اليوم القائم في وسطها هذا القصر كانت في العصر الأموي غوطة وارفة الظلال زاهرة بالزراعة مأهولة بالسكان[1] .

كشفت الحفريات عظمة هذا القصر وصورت لنا ما كان يتحلى به قصور ذاك العهد من مظاهر الابهة والجمال . وعثر بين انقاضه على مجموعة كبيرة من الزخارف الأنيقة مصنوعة من الجص وكانت تزين جدران القصر ونوافذه ومدخله وهي بأشكال خطوط ودوائر هندسية ورسوم نباتية وصور ذوات الارواح من أشخاص وبهائم وعثر فيه أيضاً على رسوم ملونة يمثل بعضها صوراً خيالية خرافية وبعضها مشاهد حقيقية . وهذا البناء وهو ثالث قصر أموي أظهرته التنقيبات الفنية وكان لاكتشافه شأن عظيم من الناحيتين العلمية والقومية . وسيكون له أثر حميد في دعوى حرب الاسلام والمسلمين للصور والتصوير .

ومن أهم الوثائق الخطية التي عثر عليها في هذا القصر قطعة من اللخاف كتب عليها رسالة موجهة « من هشام أمير المؤمنين الى ابي العباس احمد . » كما ظفر بكتابة كوفية ذبرت على عتبة احد الابنية الملحقة بالقصر هذا نصها :

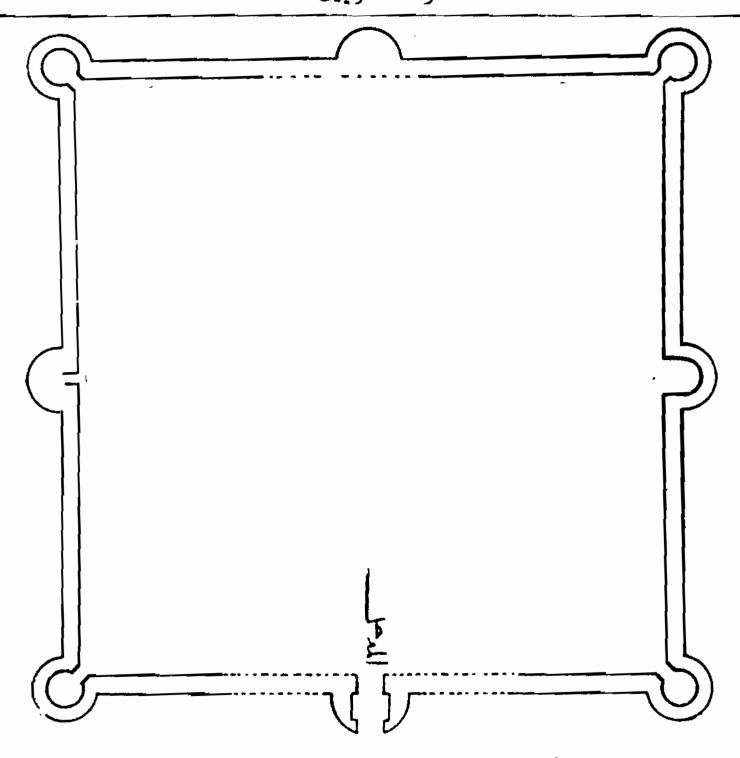
« بسم الله الرحمن الرحيم لا إله الا الله وحده لا شريك له . امر بصنعة هذا العمل عبد الله هشام أمير المؤمنين أوجب الله اجره . عمل على يدي ثابت بن ابي ثابت في رجب سنة تسع ومائة » .

وفي ذلك دليل واضح يؤيد نسبة هذا البناء للأمويين .

ورغم عدم وجود نص صريح يعرف منه اسم هذا القصر في القديم فإننا نرجح بأنه هو قصر الزيتونة الذي كان ينزله هشام قبل بناء الرصافة .

وقد نقلت جميع زخارف هذا القصر الى متحف دمشق الوطني حيث يعمل لاعادتها الى سيرتها الاولى

(١) D. Schlumberger, Les fouilles de Qaçr el-Heir el-Gharbi, Syria T. XX p. 195 et 324.



شكل ٣ — قصر جبل سيس اوسيس

جبل سيس هو مرتفع بركاني في البادية على نحو (١٠٠) كيلو متر شرقي دمشق وفي حضيضه نبع ماء شحيح يسيل في الشتاء الى مستنقع قريب يرده عربان البادية في فصلي الشتاء والربيع · ويظهر في جوار هذا المستنقع انقاض أبنية واسعة كان يعتقد بأنها بقية حصون ومخافر رومانية او بزنطية كشف الاستاذ سوفاجه (Sauvaget) [1] حقيقتها وأثبت بأنها آثار أموية شبيهة بغيرها من الابنية المعروفة المعاصرة لها مكونة من قصر وجامع وحمام ودار ضيافة وعدد من بيوت السكن وغير ذلك · وقد بني القصر بشكل مربع يبلغ طول جانبه نحو (٦٧) متراً وجدرانه الخارجية من احجار بركانية غير منحوتة وله في كل زاوية برج مستدير في وسط كل جدار دعامة مستديرة وفتح بابه في وسط دعامة الجبهة الشمالية · ويتطلب معرفة أقسامه الداخلية الى اجراء حفريات واسعة عسى ان تتحقق في المستقبل · والشبه

(١) J. Sauvaget, Les ruines Omeyyades du Djebel Seis - Syria T. XX p. 238-256.

قوى بين مصور هذا القصر وامثاله من القصور الاموية المعروفة مما يحملنا على نسبته للعصر الاموي .

ونعتقد أن اسم سيس الحالي هو تحريف (اسيس) الذي اشار اليه عدي ابن الرقاع :

قد حباني الوليد يوم أسيس بعشار فيها غنى وبهاء

وقال ابن السكيت في تفسيره هذا البيت بأن اسيس ماء شرقي دمشق وهذا ينطبق على هذا المكان ولنا بما تقدم ومن غيره من الاعتبارات الهندسية ان ننسب بناء هذا القصر الى عهد الوليد بن عبد الملك .

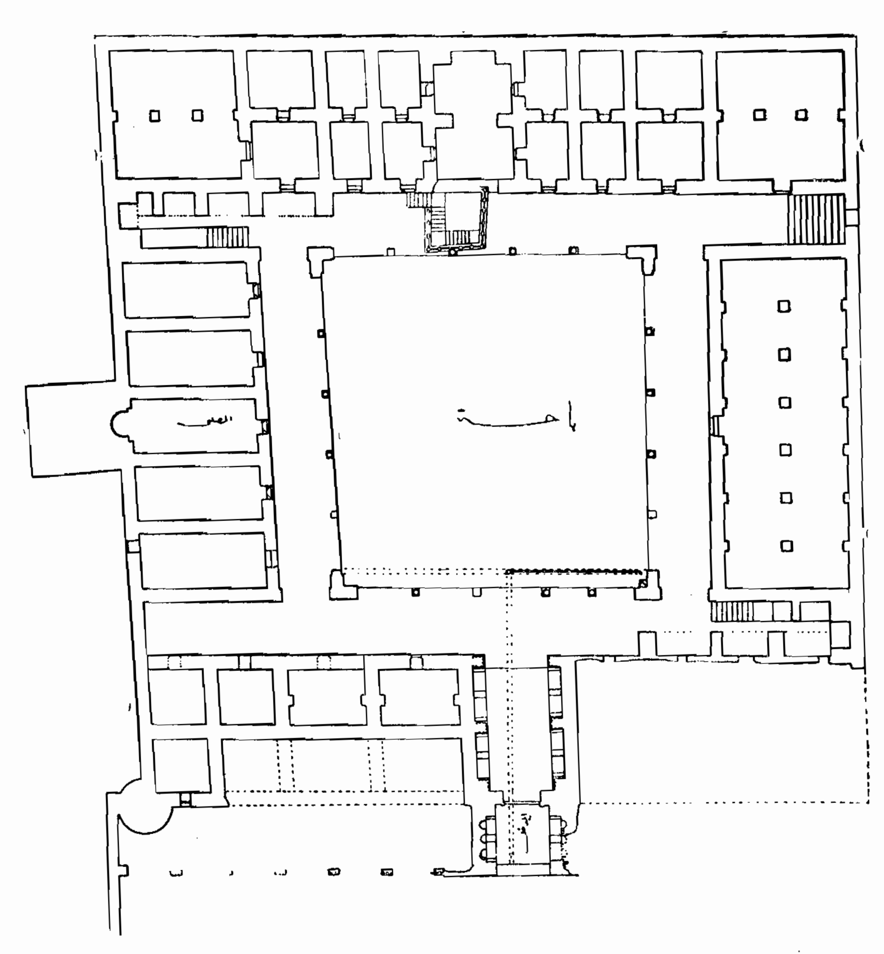
* * *

قصر خربة خان منية [1]

هي خربة في الشمال الغربي من بحيرة طبرية اجرى فيها الدكتور مادر (Mader) حفريات في عامي ١٩٣٢ و ١٩٣٦ واستأنف العمل فيها الدكتور بوتريخ ريناراً (Pottrich - Reignard) ظانين بأنه بناء بزنطي ولكن سير الحفريات أبطلت هذا الاعتقاد وتحقق لديها بأن البناء أموي . وهو يشبه بجملته ما تقدم وصفه من القصور . وصورته مستطيل الشكل من حجر نحيت يبلغ أطول اضلاعه نحو (٧٣) متراً وأقصرها (٦٦) متراً وله تسعة ابراج مستديرة في الزوايا والجدران وحكم بابه في وسط الجانب الشرقي بين برجين ويحتوي داخله على باحة تحيط بها غرف وعثر في داخله على مسجد وهذا يؤيد بأنه من العهد الاسلامي . وعثر أيضاً على بعض الزخارف والآثار العربية منها دينار تاريخه سنة ٨٩ ﻫ . اي في زمن الوليد بن عبد الملك . وهذا القصر هو اول قصر اجريت فيه حفريات علمية ولضيق الوقت لم نتمكن من الحصول على مصور له . كما أننا لم نعثر على نص تاريخي يرشدنا الى معرفة اسمه في العهد الأموي .

* * *

(١) The Quarterly of the Departement of Antiquities in Palestine Vol. VI p. 215, V I p. 159, IX p. 209.



شكل ٤ — قصر خربة مفجر (١)

هي خربة على بعد بضعة كيلو مترات شمالي اريحا أجرت بها مصلحة الآثار الفلسطينية حفريات منذ عام ١٩٣٦ باشراف الاستاذ برامكي (٢) وهو ثاني قصر اجري فيه التنقيب العلمي واصبح هو وقصري الحير الغربي وخان منية من أهم الأسس لدراسة الفن المعماري الأموي واصدق ما يستشهد به على تبين عهد كثير من

(١) اخذ هذا المخطط قبل انتهاء الحفريات ولذلك لم ترسم فيه بروج الزوايا .

(٢) D. C. Baramki, Excavations at Khirbet el Mefjer Quart. Dep. Ant. Pal' V', p. 157, VIII p. 45.

الأبنية الشامية التي لم يزل يكتنف عهدها الغموض · وهو بناء مربع الشكل تقريباً يبلغ أطول أضلاعه نحو (٧٠) متراً وله في كل زاوية برج مستدير ويحتوي داخله على باحة يحيط بها رواق تكتنفه بيوت السكن والمصلي والحمام وقد حكم بابه في منتصف الجبهة الشرقية يظلله رواق تمتد على طول الجبهة وهو طراز جديد لم نألفه في القصور التي سبق وصفها ·

ولا تقلُّ مكانة هذا القصر عن قصر الحير الغربي لوفرة زخارفه وتنوعها مما يدل على عظمة هذا القصر وماضيه المجيد وتمثل زخارفه أشكال هندسية فيها صور بعض النباتات وتماثيل مخلوقات حية مصنوعة جميعها من الجص وهي آية في الجمال والابداع · ونقلت جميع هذه الزخارف الى القدس تزدان بها قاعات متحفها · وقد التقط بين الانقاض قطعة من اللخاف كتب عليها بخط كوفي ما يأتي ·

« لعبد الله هشام امير المؤمنين من عبيد

الله بن عمر سلم عليك

فاني احمد اليك الله الذي لا إله ا

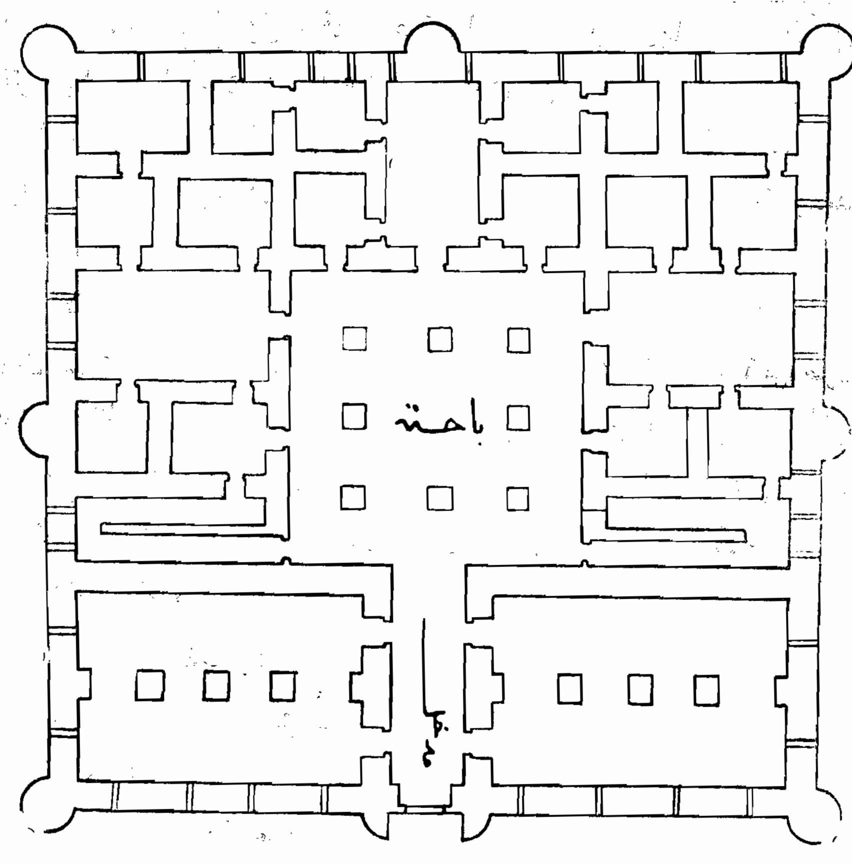
لا هو · »

وهذه وثيقة كافية لمعرفة عهد هذا القصر

* * *

قصر خرانة (شكل ٥)

يقع في بادية البلقاء على بعد (٦٠) كيلو متراً الى جهة الشرقية الجنوبية من عمان · وهو بناء مربع الشكل يبلغ طول جانبه نحواً من (٣٦) متراً ونصف متر يجمع بين مزايا القصور ومناعة الحصون · له بروج مستديرة في الزوايا وفي منتصف كل جانب وفتح مدخله في وسط برج الجانب الجنوبي · ويحتوي داخله على باحة يحيط بها غرف وغيرها وله مشارب وعلالي ولا يختلف عن غيره من القصور الأموية المعروفة الا بضيق مساحته ووفرة مرامي السور المطلة نحو الخارج لأجل الدفاع ورد أذى المعتدين · وقد عثر على بعض الجدران بقية زخارف نباتيه ملونة · وفي داخل احد

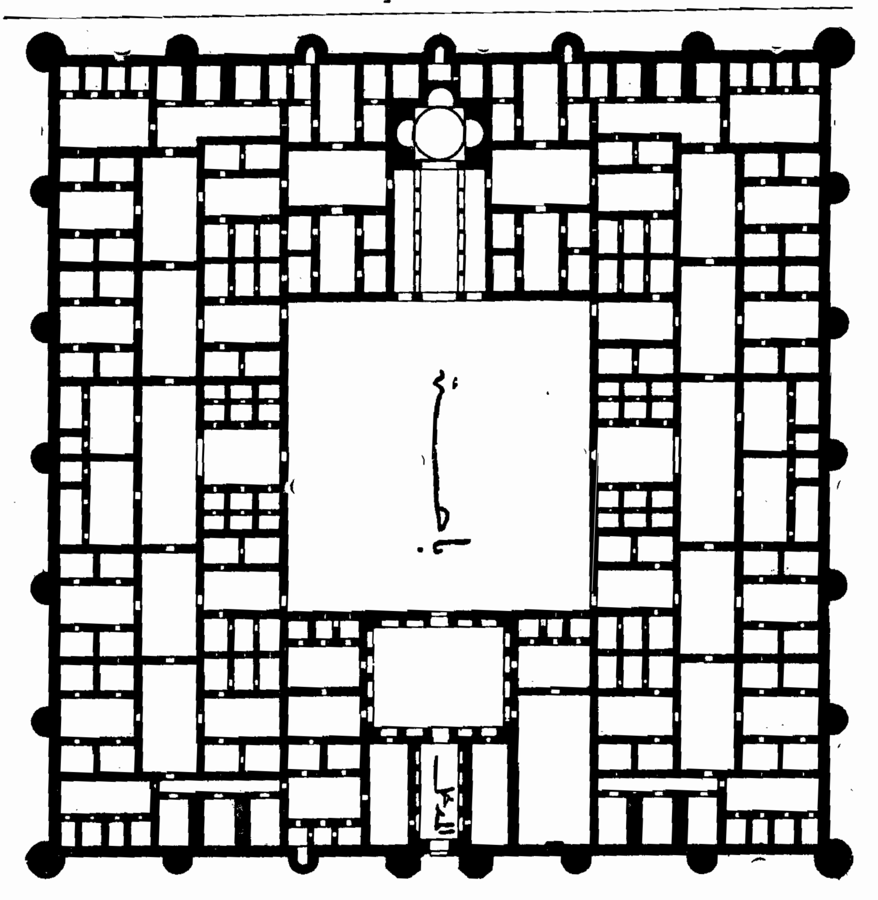


شكل ٥ — قصر خرانة

غرف القسم العلوي عثر على كتابة كوفية مشوهة تاريخها سنة ٩٢ ﻫ . وعلى أخرى تاريخها سنة ٧٢٦ ﻫ . ويستدل من ذلك بأن بناء القصر كان في عهد الوليد او في عهد احد أسلافه . ولم نعثر على ذكر قديم لهذا القصر (١)

هو في البلقاء على بعد نحو من (٢٥) كيلو متراً جنوبي شرقي عمان . وهو من أفخم الأبنية الأموية وأروعها منظراً يحيط به سور مربع الشكل تبلغ جوانبه (١٤٤)

(١) A · Musil, Arabia Petraea, I ·
Moab - Karte von Arabia Petraea.
Jaussen et Savignac – Mission archéologique en Arabie III, Les chateaux Arabes.



شكل ٦ — قصر المشتى

متراً وفي زواياه أربعة بروج مستديرة ولكل من جوانبه الشرقي والغربي والشمالي خمسة بروج مستديرة وأما الجهة الجنوبية فلها اربعة بروج فقط ودعامتان مخمسة الأضلاع فتح بينهما المدخل . وفي وسط القصر باحة يحيط بها غرف عديدة مرتبة على شكل يجعل منها اربع دور مستقلة متشابهة الهندسة وجدرانه من آجر قائم على دكة مرتفعة من حجر نحيت وقد زينت جميع دكته جبهة المدخل باجمل الزخارف وأدقها صنعة[1] مكونة من مثلثات نحت في وسطها وردة تحيط بها كرمة ذات أغصان وفروع كثيفة تظلل طيوراً وحيوانات خرافية كالقنطورس والعنقاء صورت

(١) Creswell - Early Muslim Architecture Vol. I.

أحسن تصوير فجمع هذا القصر بين ابداع البناء وجمال الزينة جاء تحفة عصره وفاق كل بناء من نوعه وهو معجزة البناء الأموي وأبلغ شاهد على مدى رقي الفن المعاري وقتئذ ومهارة المهندسين واتقان البنائين وسلامة ذوق النقاشين ولو سلم هذا القصر من عوادي الدهر واستهانة البشر لكان اليوم المثل الأعلى لعبقرية الإنسان ومبلغ انتاجه في ظل الرفاهية والرخاء · وقد اقتطع الالمان في عهد الدولة العثمانية جميع زخارف هذا القصر ونقلوها الى بلادهم حيث أعادوا تركيبها في متحف برلين وهي اليوم من أنفس محتوياته ·

وهذا القصر هو أول ماعرف من نوعه وقد أثار حوله الجدل الطويل بين الخبراء وعلماء الآثار · فمنهم من نسبه للفرس ومنهم من قال أنه من عهد الرومان وقال غيرهم هو من صنع البيزنطيين ونسبه بعضهم للعرب · وقد تنازعوه طويلا دون أن يظفر به أحد منهم الى أن اكتشف في السنوات الأخيرة قصر الحير الغربي وقصر خربة مفجر وقصر خان منية فأعيد الى حظيرته والحق بنسبه العربي دون منازع · وهنالك أدلة يتبين منها أن القصر لم تنجز عمارته ولم يسكن قط ويظن أن يزيد بن عبد الملك أراد بناءه لجاريته حبابة فماتت ولحق بها دون أن يحقق غايته واعرض عن اتمامه خلفه ·

قصر طوبى او التوبة شكل (٧)

يقع في أقصى جنوب بادية البلقاء على بعد أكثر من (١٠٠) كيلو متر من جنوب شرق عمان · وهو بناء خرب مستطيل الشكل يبلغ أطول أضلاعه نحو (١٤٠) متراً والأصغر نحو (٧٣) متراً وله في كل زاوية برج مستدير وبدعم جداره الجنوبي خمسة بروج وبرجان في الشرق ومثلها في الغرب وله مدخلان يفصل بينهما برج مستدير وقد قامت على كل من جانبي المدخل غرفة مربعة · ولهذا القصر باحتان تحيط بهما الغرف [1] ورغم اختلاف شكله وطراز مدخله وتعدد باحاته فهو في جملته شديد الشبه بقصر المشتى روعيت فيه التقاسيم نفسها · ولو أخذ نصف القصر

(١) Jaussen et Savignac - Les chateaux Arabes.

صحن
مدخل
صحن
مدخل

شكل ٧ — قصر طوبى او التوبة

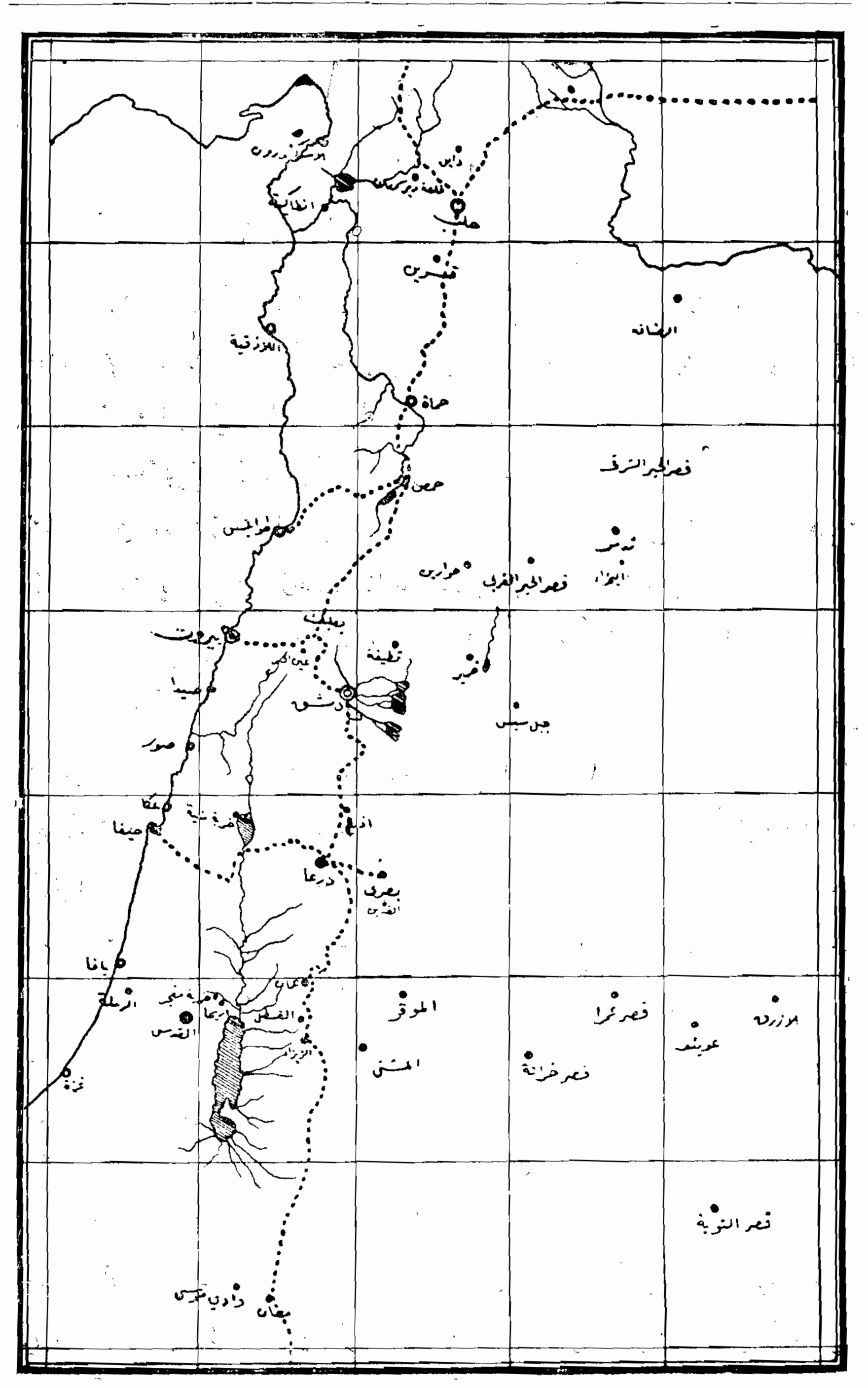
لما اختلف في تفاصيله عما نعرفه عن بقية القصور الأموية . وقد شيد هذا البناء على شفير واد يعرف اليوم بوادي غدف ولعل هذا القصر هو الأغدف الذي كان ينزله الوليد بن عبد الملك واوجه الشبه بين الاسمين قريبة جداً والتحريف لا يستبعد .

* * *

وبعد فإني اجتزيء بوصف أهم القصور المعروفة التي تحققت نسبتها الى العهد الأموي واحجمت عن وصف قصير عمراً لأنه لايدخل في عداد القصور وثبت بأنه حمام وان القصر الذي بجواره قد عفت آثاره وضاعت معالمه .

وهناك في انحاء مختلفة من سورية ابنية التقطت صورها من الجو حديثاً لها مظاهر القصور الأموية وهي تتطلب دراسة واسعة وبحثاً دقيقاً للتثبت من عهدها ومعرفة مصوراتها . وهكذا قد اتسع امامنا الميدان نجول في أفق مشبع بالأمال بعد أن كان الباحث قبل عشر سنوات يخبط خبط عشواء متردداً بين الحدس والتخمين تتنازعه الاهواء وهو ضال عن سواء السبيل . والرجاء معقود على ما سيكشفه لنا المستقبل القريب فنتعدى مرحلتنا الأولى في معرفة ما كنا نجهله من حقيقة نهضتنا العمرانية مما اتصل بنا خبره وضاع أثره .

جعفر الحسني


حلب
قنسرين
الرصافة
حماة
حمص
قصر الحير الشرقي
تدمر
حوارين
قصر الحير الغربي
اللاذقية
طرابلس
بعلبك
بيروت
قطيفة
ضمير
عين الجر
صيدا
جبل سيس
صور
عكا
طبرية
حيفا
اذرع
درعا
بصرى
يافا
عمان
الرملة
الموقر
قصر الطوبة
المشتى
قصر خرانة
معان

شكل (٨) سورية